OPEN ACCESS
Hazara Islamicus
ISSN (Online): 2410-8065
ISSN (Print): 2305-3283
www.hazaraislamicus.com

Hazara Islamicus, Vol.:9, Issue: 1,Jan-June 2020
PP: 37-58

مدلولات الفتنة ودواعيها ومكافحتها في التشريع الإسلامي

The Significance of sedition its motives and its reward in Islamic Legislation

Hafiz Ruvaifa Khan
Ph.D Scholar, International Islamic University, Islamabad

Ahmed Hamad Hashimi
Lecturer, Department of Islamic and Religious Studies, Hazara University, Mansehra

Abstract

The meaning of Fitna is trial or test. In Islamic usage, a heretical uprising. Everything that distracts man from his God is called Fitna. The above article examines the literal and terminological definitions of Fitna and the differences between the scholars on the word Fitna. This article explains Fitnah in the context of the Quran and the hadiths of the Prophet. At the same time, we have examined the causes of Fitnah, its treatment, and the reasons for its spread and also we has been discussed the method of eliminating Fitna.

***Keywords**:Fitnah,Quran,Hadith, Al-Tashrīʿ al-Islāmī*

الحمد لله على نعمائه الشاملة الظاهرة والباطنة ونستعصم به من الفتن والمحن وأصلي وأسلّم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد المجتبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

أن الرسائل والأخبار المعاصرة التي تُخبرنا عن الفتن التي يتخبط فيها كثير من شبابنا، تلك الفتن التي تجاوزت الحق والدليل، لتسقط في حمأة الصراع حول الرجال، والجماعات والأحزاب، من شقاق بينهم وتنافر، وتباغض وتهاجر، وخوض في القيل والقال، والغيبة والنميمة، باسم النصح تارة، وباسم الإصلاح أو بيان الحق تارةً أخرى، فأتت على الأُخوَّة الواجبة فأفسدتها، وثبت على المحبة الطيبة فأحرقتها، فعطلت تعاونهم، وأبطلت تشاورهم، فانقلب النصح فضحاً، والتفاهم سِباباً، والتحاور صراخاً، والأخوة حقداً وحسداً، والمحبة تباغضاً وتهاجراً، فقست بذلك القلوب، وغلظت الأكباد، وجفت الألسن، وساءت العبارات، وضاعت الأوقات، وقلت العبادات، ونسيت الدعوة، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1]. والله وحده أسأل أن ينفع بها الجميع، وأن يرفع عنهم الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يوحد هذه الأمة، ويعلي كلمتها، ويخذل عدوها، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تعريف اللغوي والاصطلاحي للفتنة:

الفتنة لغة: الفتنة في اللغة لها معانٍ متعددة؛ منها:

"الفتنة: الامتحان والاختبار، تقول: فتنتُ الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته"[2]. جماعُ معنى الفتنة

CC BY

الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد. الفَتنُ: الإحراق، ويسمى الصائغ: الفتّان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السُّود التي كأنها أحرقت بالنار؛ الفتين[3]. والفِتن: جمع فتنة "وأصل الفتنة: الإختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك"[4].

وقد أورد العلامة ابن المنظور معان أخر للفتنة منها: (الكفر والفضيحة والعذاب، وما يقع بين الناس من القتال، والقتل، والإختبار، والإحراق)[5]. ومن أراد المزيد فليرجع إلى "اللسان".

ثانياً: الفتنة اصطلاحاً: توافقت آراء العلماء على أن أصل الفتنة هو الابتلاء والاختبار لكنهم اختلفوا في التعريف الاصطلاحي للفتنة وذلك على النحو التالي:

1. الفتنة: تشديد المحنة، يقال فتن فلان عن دينه إذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه[6].
2. الفتنة: ما يتبن به حال الإنسان من الخير والشرّ[7].
3. الفتنة: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذ، وبالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم[8].

مدلولات الفتنة في القرآن الكريم:

قد يظهر لنا عظمة هذا القرآن وإعجازه حيث يعبر الله سبحانه وتعالى بكلمة الفتنة في كل مرحلة من مراحل الدعوة بأسلوب معجز حكيم، إذ إن كلمة الفتنة قد وردت بمعان متعددة ومختلفة كانت تتشابه هذه المعاني أحياناً رغم اختلاف المرحلة لكنها كانت تختلف عند البحث عن مراد الله منها ليتناسب كل معنى مع طبيعة المرحلة وأحوال الناس، وهذا يظهر لنا السبب الذي وقف أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان عاجزين أمام تحدي وإعجاز القرآن الكريم، ولقد تضمّنت كتب التفسير المتخصصة تبين ذلك وإيضاحه بعد جمعها وحصرها، فنجد أن بعض العلماء قد حددها بخمسة عشر وجهاً وهو العلامة ابن الجوزي[9]، فبعضهم حددها بإثني عشر وجهاً، وهو العلامة الفيروزآبادي[10]، وبعضهم بأحد عشر وجهاً، وهو الحسين بن محمد الدامغاني ويحيى ابن عبد السلام[11]، والبعض الآخر مَن حددها بعشرة أوجه، وهو هارون ابن موسى القارئ[12].

وسنبدأ بذكر الأوجه التي اتفق عليها في الجملة وهي:

الأول: الابتلاء والاختبار: فقد وردت الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار والامتحان وذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم؛ منها:

1- قوله تعالى: "المo أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَo وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (العنكبوت: 1-3)، فقوله تعالى: " وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ " يمتحنون، أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يُقنَعَ منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم، وقوله:"وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ "أي ابتلينا الماضين كالخليل ألقي في النار، وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه[13]، ويقول الخازن: "يعني الأنبياء، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب"[14].

2- وقوله تعالى: **"وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا"** (طه: 40)، قال ابن عباس رضي الله

عنه: "اختبرناك اختباراً، وقيل ابتليناك ابتلاءً، والفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها، أولها أن أمّه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمّه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم ناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفاً"[15].

الثاني: الإثم والنفاق: وتأتي الفتنة بمعنى الإثم والنفاق وذلك في عدّة أماكن من القرآن الكريم، منها:

1- وقوله تعالى: "وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ"(الحديد: 14) "أي بالنفاق وإبطان الكفر، قال مجاهد: أهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات والملذات"[16]. ويقول الخازن: "أي أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات"[17]. ويقول الإمام ابن كثير: أي فتنتم أنفسكم بالملذات والمعاصي والشهوات"[18].

2- وقوله تعالى: "أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ" (التوبة: 49)، أي في الإثم والمعصية وقعوا، وهي النفاق والتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم"[19]. ويقول الخازن: أنهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه"[20].

الثالث: الخدع والإيقاع في المعصية: ومنه قوله تعالى: "لاَيَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ..." (الأعراف: 27)، ويقول الواحدي: أي لا يخدعنَّكم ولا يُضلنَّكم"[21]. ومعناه لا تغفلوا عن أنفسكم ووسوسته لكم فتمكّنوه بذلك من خداعكم بها وإيقاعكم في المعاصي، كما وسوس لأبويكم آدم وحوّاء فزيّن لهما معصية ربهما[22].

الرابع: الشرك بالله: وتأتي الفتنة بمعنى الشرك بالله حيث ورد ذكرها بهذا المعنى في عدة أماكن، منها:

1. قوله تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**" (البقرة: 193). (أي شرك، قاله ابن عباس، وأبوالعالية، ومجاهد وغيرهم) [23]. ويقول الخازن: "قوله: "وقاتِلُوهُمْ" أي وقاتلوا المشركين، "حتَّى لا تكونَ فِتنةٌ" أي شرك، والمعنى: وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني إلى الإسلام أو القتل بخلاف الكتابي"[24]. ويقول الزمخشري: قوله: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ " أي إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ويضمحل عنه كلُّ دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده"[25].

2. وقوله تعالى: "**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**" (البقرة: 217). "فالفتنة الإخراج أو الشرك"[26]. ويقول الخازن: "الشرك الذي أنتم عليه أكبر من القتل"[27]. أن الله سبحانه وتعالى ردّ في بعض من هذه الآيات على المشركين الذين عيّروا المؤمنين بقتالهم في الأشهر الحرم فبيّن الله لهم أن شركهم هو أكبر من قتلهم وقتالهم وأشدّ خطراً، كما أن قتالهم كان بأمر الله، أما شركهم فقد كان بأمر من شياطينهم واتباعاً لما كان يعبد آباؤهم، وفي بعض الآيات منها أمر الله سبحانه وتعالى فيها بقتال المشركين للقضاء على شركهم والتخلص منهم، وصرف العبادة له سبحانه.

الخامس: العبرة: وتأتي الفتنة بمعنى العبرة والهدف والدليل على غيرهم في القرآن الكريم:

قوله تعالى: "رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (يونس: 85). "أي لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو لا تمتحنا بأن تعذبنا على أيديهم، وقال مجاهد: المعنى لا تهلكنا بأيدي أعدائنا ولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول أعداؤنا لو كانوا على حق لم نسلط عليهم فيفتنوا"[28].

ويقول ابن كثير رحمه الله: "لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيفتنوا بذلك، وروي عن مجاهد قوله: لا تعذبنا بأيدي آل فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عُذِّبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا"[29].

السادس: الزيغ والضلال: وتأتي الفتنة بهذا المعنى في مواضع متعددة، منها:

1. قوله تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ" (آل عمران: 7)، "فمعنى" ابْتِغَاء "طلب الشبهات واللبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردُّوا الناس إلى زيغهم"[30].

ويقول الإمام ابن كثير: " الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم"[31]. ويقول البيضاوي: "طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه"[32].

2. وقوله تعالى: "وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ" (المائدة: 41)، يعني كفره وضلالته. ويقول القرطبي: "ضلالته في الدنيا وعقوبته في الآخرة"(33). ويقول البيضاوي: "المعنى ضلالته أو فضيحته"(34).

مدلولات الفتنة في السنة النبوية:

تناولت السنة النبوية موضوع الفتن تناولاً واسعا، وبسطت فيه الحديث، وتكلمت عن مفاهيمها وأنواعها وأقسامها وأزمنتها وأماكنها، ولا نستطيع أن نلمّ بكل ما جاء في السنة ونشتغل بها في هذا البحث والجهد القليل، ولكننا نذكر هنا قبسات من أهم مفاهيم الفتنة ومعانيها في السنة النبوية.

الأول: فتنة الحرص على المال:

من معاني الفتنة في السنة الفتنة في المال في الحرص عليه وأخذه من غير وجوه المباحة وعدم أداء حقوقه المشروعة، فعن كعب بن عياض قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنّ لكل أمّة فتنة، وفتنة أمّتي المال))[35].

ففي حديث حذيفة في الصحيحين ((فتنة الرّجل في أهله وماله وجاره تكفّرها الصلاة والصيام والصدقة))، وفي رواية مسلم: ((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) [36].

"إن لكل أمة فتنة" أي ما يوقع أحدًا في الضلالة والمعصية "وفتنة أمتي المال" أي اللهو به لأنه يشغل البال عن القيام بالطاعة وينسى الآخرة. وقد ورد الذم في القرآن الكريم والسنة النبوية على عبدية المال وجعلها فتنة، فقال عليه السلام: **"انما اموالكم واولادكم فتنة"**، وقد أخبر الله تعالى عن الأموال والأولاد أنها فتنة لأنها تشغل الناس عن الطاعة، وقال الله تعالى: " **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**" أي شغلكم التكاثر، وخرج لفظ الخطاب بذلك على العموم لأن الله تعالى فطر العباد على حب المال والأولاد[37]، وجآء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض))[38]، أي سقط والمراد هنا، هلك.

الثاني: فتنة الكفار بالصد عن الإسلام:

من معاني الفتنة في السنة فتنة الكفار بالصد عن الإسلام ومحاربة المسلمين لصدهم عن دينهم، فعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التّراب وقد وارى التّراب بياض بطنه، وهو يقول:

"لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا "[39]

وفي الصحيحين: يرفع بها صوته: ((أبينا أبينا)).

فقوله: "إنّ الألى قد بغوا علينا.. إذا أرادوا فتنة أبينا" أن هؤلاء الذين يحاربوننا اليوم، ويريدون هزيمتنا وفتنتنا،

والقضاء علينا لن يتمكنوا منا، لأننا نجاهد لإعلاء كلمة الله، والله معنا[40]، ووعدنا بالحق أن يغلبنا ويعلينا بشرط الإيمان على الكفار والعدو، قال تعالى: "**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**" (آل عمران: 139). والمراد بالفتنة: القتل والنهب والرد إلى الكفر. كما في قوله تعالى: "**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**" (الممتحنة: 2)، وقوله: (أبينا) من الإباء، ومعناه: امتنعنا عن القبول أي إستقمنا على الحق ونصرنا من الله عز وجل نصرة عظيمة بالصبا أي بالريح[41].

الثالث: فتنة الرجل بالنساء:

من معاني الفتنة في السنة فتنة الرجل بالنساء فالرجل ميال بطبعه إلى المرأة، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)[42].

أن فتنة النساء أعظم الفتن مخافة على العباد، فيها يفتتن بها الرجال؛ لأن تلذذهم بهن أكثر من سائر التلذذات، لميل الطباع إليهن أكثر مما تميل إلى غيرهن من التلذذات، فربما يقع الرجل في الحرام، وربما يقع بين الرجال مقاتلةٌ وعداوةٌ بسبب النساء، بأن يقول رجل مثلا: أنا أتزوج هذه المرأة، ويقول الآخر: بل أنا أتزوجها، ولذلك أيضاً أن المرأة إذا لم تكن يمنعها الصلاح الذي من جبلتها، كانت عين المفسدة، فلا تأمر زوجها إلا بشرّ ولا تحثه إلا على فساد، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا كي يتهالك فيها، وأي فساد أضر من هذا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة! والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى قدمها في آية ذكر الشهوات على سائر الأنواع وجعلها نفس الشهوات، حيث بيّن الشهوات بقوله: "**من النساء**" ثم عقبها بغيرها دلالة على أنها أصلها ورأسها[43].

ويقول العلامة العيني: "إن الشؤم أشد منهنّ، وفتنتهن أشد الفتن وأعظمها، ويشهد له قوله عز وجل:" **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء**" (آل عمران: 14)، فقدمهن على جميع الشهوات لأن المحنة بهنّ أعظم المحن على قدر الفتنة بهن، وَقد أخبر الله عز وجل أن منهنّ لنا أعداء، فقال: "**إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**" (التغابن: 14)، ويروى: أن الله عز وجل لما خلق المرأة فرح الشيطان فرحا شديدا، وقال: هذه حبالتي الّتي لا تكاد يخطيني من نصبتها له، وجاء في الحديث: النساء! حبائل الشيطان، ورُوِي: استعيذوا من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أوثق سلاح إبليس النساء"[44].

الرابع: إيقاع المسلمين في الحرام والمتشابه:

من معاني الفتنة في السنة إيقاع المسلمين في الحرام والمتشابه، وذلك بإثارة المتشابه والبحث عن الأقوال الشاذة وترك المحكم من الأحكام الشرعية والتحجج بأن الحكم محل خلاف وليس إجماعا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :" **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ**....."(آل عمران: 7)، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم"[45].

فالعلم الذي يتبعه أهل الزيغ هو علم المتشابهات التي ما لا سبيل إلى معرفته والوقوف على كنهه والمعرفة على حقيقته، ولا يعلمه إلا الله، بإبتغاء تأويله كالإيمان بالقدر والمشيئة، وعلم الصفات ونحوها مما لم نتعبد به، ولم يكشف لنا عن سره، فالمتبع لها مبتغ للفتنة؛ لأنه لا ينتهي منه إلى حد تسكن إليه نفسه[46]، والابتغاء: الطلب؛ أي: لطلب إيقاع الشك والخصومة بين المسلمين، والفتنة: الغلو في التأويل المظلم، وقوله: "فهم الذين سمى الله فاحذروهم" أي

فعلى المخاطب أن يحذر من الإصغاء والميل إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأن لاتجالس معهم ولاتكالم معهم؛ فإنهم أهل البدعة والضلالة والزيغ، وهذه وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحذر من هؤلاء، يوصي بإهمالهم وإهمال آرائهم، ويوصي بعدم الاطمئنان إلى إيمانهم وبأخذ الحيطة في مسالمتهم.

الخامس: فتنة المصائب والشدائد والمهالك:

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزّلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتلُ القتلُ حتى يكثر فيكم المال فيفيض)[47].

وقوله: (تظهر الفتن) أي تظهر في آخر الزمان كثرة الاختلاط وكثرة النكاح مزاناة لا للزواج وكثرة الكذب وكثرة الإشاعة والفوضى بدون تصديق وكثرة النوم وشيء تراه في النوم وليس بصادق وعدم الإيقان بالأمر وغيرها من المفاسد الأخرى كثيرة، وقوله: (الهرج) بإسكان الراء، وأصله الاختلاط والقتال، وكذا التهارج، ومنه يتهارجون تهارج الحمر أي: يختلطون رجالا ونساء، ويتناكحون مزاناة، وقال ابن دريد: الهرج، الفتنة في آخر الزمان[48].

وذكر صاحب "المحكم" للهرج معاني أخرى، ومجموعها تسعة: شدة القتل وكثرة القتل والاختلاط والفتنة في آخر الزمان وكثرة النكاح وكثرة الكذب وكثرة النوم وما يرى في النوم غير منضبط وعدم الإتقان للشيء. وقال الجوهري: أصل الهرج، الكثرة في الشيء، يعني حتى لا يتميز[49].

السادس: تغيير الفهم وسلب معرفة الحق والمنكر:

عن أبي عمار قال: قال حذيفة رضي الله عنه: (إن الفتنة لتعرض على القلوب فأي قلب أشربها نقط على قلبه نقط سود وأي قلب أنكرها نقط على قلبه نقطة بيضاء فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن رأى حراما ما كان يراه حلالا أو يرى حلالا ما كان يراه حراما فقد أصابته)[50].

ولكن الذي يقوم على حاله ويستقيم على دينه الصادق ولم يستحل حراما ولم يستحرم حلالا لم تضره فتنة أبدا، وأما الذي لم يقم على حاله ويتغير فيها ولم يستقم على دينه الصادق ويستحل حراما ويستحرم حلالا يسلب الله تعالى عنه معرفة الحق والمنكر، كما قال حذيفة رضي الله عنه عنهم: "تعرض فتنة على القلوب فأي قلب أنكرها نكتت في قلبه نكتة بيضاء وأي قلب لم ينكرها نكتت في قلبه نكته سوداء، ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فإن أنكرها القلب الذي أنكرها في المرة الأولى نكتت في قلبه نكتة بيضاء وإن لم ينكرها نكتت نكتة سوداء، ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فإن أنكرها في المرتين الأوليين اشتد وابيض وصفا ولم تضره فتنة أبدا وإن لم ينكرها في المرتين الأوليين اسود وارتد ونكس فلا يعرف حقا ولا ينكر منكرا"[51].

فالله المستعان كيف أصبح الكثير من المسلمين يحرم ويجرم ما كان يراه حلالا بل ما كان يراه مشروعا وواجبا، وأصبح الكثير يحلل ما كان يراه حراما و باطلا، بل أصبح ينادي به ولم يقف عند كونه حلالا.

دواعي انتشار الفتن في التشريع الإسلامي:

إننا لو حاولنا أن نحدد ونستقرئ دواعي الفتن وأسبابها منذ ظهورها وحتى الآن لما استطعنا؛ لأنها كثيرة ولا نستطيع حصرها، لأنه كلما تجدّدت للناس أفكار وثقافات وأهواء، تجدّدت معها أسباب الفتن، علماً أن هناك من الفتن ما يكون سببها أن قدّر المولى عز وجل أن جعلها هي فتنة في ذاتها؛ لحكمة منه سبحانه ابتلاءً وامتحاناً لعباده وخلقه، كفتنة المال والأولاد والنساء والمسيح الدجال وغيرها... ولكن هناك أسباب: منها ما هو رئيس، ومنها ماهو دون ذلك تكاد تورد الفتن، وتوقع في المحن، مع التنبه إلى أن كثيراً من الأسباب نفسها قد تكون فتناً كذلك، فتكون في الوقت نفسه فتنة وسبباً لها. وهي كالتالي:

الأول: قلة العلم، والبعد عن العلماء:

من أهم أسباب الوقوع في الفتن: الجهل، أو قلة العلم، ذلك لأن العلم للإنسان كالنور للسيارة، يضيء لسائقها الطريق، ويجنبه الانحراف. والعلم للسالك؛ كالخريطة للجندي، ترشده إلى الطريق في الصحراء، وتمنعه من الضلال. والعلم للدعاة؛ كالموجّه (البوصلة – الرادار) في السفينة أو الطائرة، يهدي في ظلمات البر والبحر والجو بإذن الله، فإذا انعدم النور، وفقدت الخريطة، وتعطل الموجّه، انحرفت السيارة، وضل الجندي، وهوت الطائرة[52].

وكذلك العلم إذا فقد، أظلم الطريق، وخرج الناس عن المحجة، وتخبطوا في تيههم، وهم يظنون أنهم سيَصِلون، وعلى الطريق المستقيم سائرون، وأنّى لهم ذلك! وقد فقدوا هاديهم: العلم، ومن فقد العلم، وقع في الظُّلَم و الظُّلم ؟!؟ ولهذا قال: ((قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[53]. فمن خرج عن هذه المحجة البيضاء زاغ، ومن زاغ هلك، كما حصل للطوائف السابقة والمعاصرة..

وقلة العلم من قلة العلماء، أو من مجافاتهم، ومجانبة حلقاتهم، أو الاستخفاف عليهم والاستقلال عنهم، تعالماً، أو طلباً للرياسة. كل ذلك مصداق قوله تعالى:" **وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ**" (الأنعام: 119)، ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا))[54].

وإذا قل العلماء قل العلم، وكثر المتعالمون، ووقعت الفتن... وبوادر هذه الفتن، مقبلة نعوذ بالله منها. وهذا الحديث، شاهد قوي على ما نحن بصدده، من أن الجهل سبب وأيما سبب للوقوع في الفتن، بفتاوى المتعجلين، وتعجل المتعالمين.

والناس محتاجون إلى العلماء أكثر من احتياجهم للطعام والشراب، قال الإمام أحمد رحمه الله: "الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب تحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثة، والعلم يُحتاج إليه في كل وقت"[55]. وإذا خلت الساحةُ من أهل العلم والفضل، اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً يفتون بغير علم، فتستباح الحرمات، ويهرق الدمُ المعصوم، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين، وما يقع فيها من مجازر ومذابح، بأيدي الأدعياء الذين تشبثوا برأيهم، وتأولوا بأهوائهم، وركبوا رؤوسهم، ولم يصغوا إلى نصائح العلماء، تنبئك عن مخاطر تغيّب العلماء، وقطع الصلة بينهم وبين الشباب[56].

مكافحة فتنة قلة العلم والبعد عن العلماء:

فأما ما يتعلق بفتنة قلة العلم أو الجهل والبعد عن العلماء فإن تجنبها ومكافحتها يكون على أمور، كالتالي:

1. المواظبة على حصول العلم الشرعي والمشاركة في مجالس العلم وإلتزامه على نفسه لأن العلم يضعف الشهوات ويورث المراقبة والخوف من الله تعالى، يقول تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" (القصص: 80)، ولذلك نفع العلم أصحابه عند نزول الشبهات فلم يخوضوا فيها، قال سفيان الثوري: "العالم يعرف الفتنة وقت إقبالها، فإذا أدبرت يعرفها العالم والجاهل"[57].
2. المجالسة مع العلماء الربانيين والصلحاء الصادقين ومحابتهم لأنهم يذكّرونك إذا نسيت ويعينونك إذا ذكرت، ويسترونك إذا أخطأت، ويحفظونك من الوقوع في الفتن، قال تعالى" وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" (الكهف: 28).
3. الإحتياج الشديد إلى العلماء وإحترامهم وإكرامهم وعدم الاستخفاف عليهم والاستهانة عنهم، قال ابن المبارك رحمه الله: "من استخفّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفّ بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخفّ بالإخوان

ذهبت مروءته"[58]، وهم عصمة للأمة من الضلال والكفر والفتن ومن تخلّف عنها لا سيما في زمن الفتن كان من المغرقين والمهلكين.

الثاني: اتباع الهوى والشيطان:

لقد حذر الإسلام من اتباع الهوى والشيطان أيما تحذير، بل ربما كان التحذير الأول منصباً عليه، ذلك لأن الهوى سلاح الشيطان الرئيس، وهو العدوّ المبين لبني آدم لأن العداوة بينهما عداوة قديمة ظهرت مع ظهور أول مخلوق وهو آدم عليه السلام، إذ بدأ الشيطان منذ اللحظات الأولى في التفكير بالكيد بآدم وزوجته بغرض إخراجهما من الجنة وقد نجح في ذلك، حيث أن الله عز وجل بين في القرآن الكريم أن اتباع الشيطان يقود إلى الفتنة والضلالة، يقول سبحانه وتعالى: "**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**" (الأعراف: 27). فكانت هذه أول فتنة يتعرض لها الإنسان بسبب اتباع الشيطان، واقتفاء خطواته والانصياغ لوساوسه ومغرياته، وكان ينبغي على بني آدم استشعار هذه العداوة وعدم الانجرار وراء فتنة، والاستفادة مما حصل لأبويهم آدم وحواء.

والهوى أصل الضلال والفساد في البلاد وبين العباد، والهوى في الأصل هو: "مَيلان النفس إلى ما تستلذّه من الشهوات من غير داعية الشرع"[59]، وهو من أهم أسباب نشأة كثير من الفتن. قال تعالى:" **قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**" (الأنعام: 56)، وقال:" **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**" (المؤمنون: 71)، لكن المصيبة أننا نقع في الهوى، ونحن نظن أننا نحسن صنعاً.

ومما لا شك فيه أن اتباع الهوى في أمور الدين والعبادة والتقرب إلى الله أعظم خطراً وشراً من اتباع الهوى فيما سوى ذلك من الشهوات الدنيوية، يقول شيخ الإسلام: "واتباع الهوى في الديانات أعظم من اتباع الهوى في الشهوات"[60]! قال رجل لابن عباس رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئاً من الخير، وإنما سمّي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار[61]، والهوى دركات، تبدأ من الذنب الصغير، وتنتهي بالكفر الأكبر، والعياذ بالله تعالى.

مظاهر الهوى:

الصورة الأولى: التكلم في الدين بغير علم أو دليل: ترى كثيراً من الناس يفتي أو يجادل، ولما يتمكن العلم أو بعضه منه، بل لم يسلك طريق الهداية إلا قبل بضع سنين أو بضعة شهور، يناقش عظائم المسائل التي تردد فيها كثير من الأئمة، وتحير فيها الفحول من أهل السنة – كالتكفير والتبديع، وما شابه ذلك – وأما هو: فتراه متشدق العبارة، متسرعاً في الفتاوى، وليس عنده من العلم والفقه، سوى حفظ لنزر يسير من النصوص، يقيس عليها، كما يقيس الجاهل النجمة على الشمعة، لاشتراكهما في النور القليل." **وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ**" (الأنعام: 119)،" **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**" (الحج: 3).

الصورة الثانية: تقديم التزيين على الدليل: المقصود بالتزيين؛ كل ما يخيل للمرء أنه دليل وليس بدليل؛ كالواقع، والسياسة، والمصالح، وما شابه ذلك. فإذا قيل له: هكذا فعل الأنبياء، قال: الواقع.. النتائج .. الظروف.. هكذا، وإذا قيل له هذا محرم... قال: الحالة الاقتصادية توجب مخالفة ذلك، والمصالح تبيح ذلك، وإذا قيل له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هذا في زمانه ولا يناسب هذا زماننا فزماننا غير زمانه،" **أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**" (محمد: 14).

الصورة الثالثة: عدم الإنصاف للحق، وادعاء عدم فهم الدليل: هذا الصنف من أصحاب الهوى يشابه

السابق، في اتخاذه قراره مسبقاً، قبل استقراء النصوص، وسماع الأدلة، ويختلف عن الأول في أنه غير مستعد أصلاً لسماع الدليل أو لفهمه. فإذا قيل له: اتبع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في عقيدتك، وصلاتك، ومنهجك. يقول: بل أقلد فلاناً، أنا لست أهلاً للفهم... رامياً نفسه بالعجز والكسل والغباوة. ومنهم من يقول: ((الدين في القلب))، ((الدين المعاملة)) كلمات حق أريد بها باطل، أو يقول: هذا تطرف.. هذا تشدد..؛ والحقيقة هذا منه تدليس، وإعراض عن العمل." **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ**" (محمد: 16).

الصورة الرابعة: ترك الهدى واتباع الكفار: إنّ ترك التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم، و العمل بالسنة، و التطلع إلى ما عند لكفار، من أبرز صور الهوى، و إنك – و للأسف – لترى في المعاصر كثيراً من المسلمين، يعرض عن سنن الهدى والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، إلى التشبه بالكفار عملاً، أو اعتقاداً في تشريع أو خُلق، أوحتى في مأكل أو ملبس، :" **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** "(البقرة: 120)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من تشبه بقوم فهو منهم))[62].

مكافحة فتنة اتباع الهوى:

فأما ما يتعلق بفتنة اتباع الهوى فإنما يمكن توقيها ومكافحتها بأمور تالية:

1. الحذر من اتباع الهوى والشهوات فإنه سبب للضلال وموجب للعذاب، قال تعالى :" وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ..." (سورة ص: 26).
2. الوقوف والمعرفة على عاقبة أتباع الشيطان والولاية معه، وأن عا قبتها الهلاك والخسران المبين، يقول تعالى:" وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا" (النساء: 119).
3. استجابة الأدلة الشرعية وأحكامها، وقبولها كما صدر من الأصل، لأن ردّها يزرع في النفس الهوى والتعصب والعناد في المخالفة، كما قال تعالى: "فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ" (القصص: 50).
4. أن يجعل المسلم طاعة ربه، وذكره، والثناء عليه ديدنه في كل وقت وآن، فإذا ما جعل هذا الأمر طريقه الذي يسلكه لم يهمه الهوى، ولم يفتنه، وصار وجوده مثل عدمه.

الثالث: موالاة الكفار:

إن موالاة الكافرين من أعظم أسباب الفتنة التي تحدث عنها القرآن الكريم، فلقد بين الله عز وجل ولاء الكفار بعضهم لبعض بقوله:" **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**" (الأنفال: 73)، فأخبر سبحانه أن الكفار حيث جمعهم الكفر، فبعضهم أولياء بعض، فلا يواليهم إلا كافر مثلهم. فإذا لم يواجه الكفار بمجتمع ولاؤه بعضهم لبعض فستقع الفتنة.

وقد نبهنا ربنا جل وعلا إلى استحالة وجود المودة من الكفار للمسلمين، إذ إن الكفار لا يودون للمؤمنين غير الشر والضرر، ولا يحبون أحدا منهم كما قال تعالى:"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**" (آل عمران: 118، 119). قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحِلْف والجوار، فأنزل الله هذه الآيات، ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم"[63].

والقرآن لم يتساهل حتى مع الآباء والإخوان، بل نص على النهي عن موالاتهم ماداموا على الكفر، إذ لا رابطة أقوى من الإسلام: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن

يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (التوبة: 23)، "هكذا تتقطع أواصر الدم والنسب إذا انقطعت آصرة القلب والعقيدة، وتبطل ولاية القرابة في الأسرة إذا بطلت ولاية القرابة في الله، فلله الولاية الأولى، وفيها ترتبط البشرية جميعاً، فإذا لم تكن فلا ولاية بعد ذلك، والحبل مقطوع والعروة منقوضة" [64].

قال ابن القيم رحمه الله: "لايتم الإيمان إلّا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع الولاية والبراءة أبداً، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدا. والولاية صلة، فلا تجامع ولاية الكافر أبدا"[65].

مظاهر موالاة الكافرين، ويمكن مكافحة هذه الفتنة بتنكير هذه المظاهر:

المتأمل في الصور والمظاهر التي تأتي عليها موالاة الكافرين يجدها كثيرة جداً لا يستطيع حصرها في نقاط معينة، نظرا لتجدد الأحداث، وتغير الأزمنة، لكن يمكن الإشارة إلى أمور رئيسة في هذا المجال الخطير من حياة المسلمين، وما يتجدد من الحوادث والوقائع تقاس عليها، فإليك بيان هذه الصور:

1. الرضى بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة. فهذا الفعل صورة من صور موالاة الكافرين؛ لأنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية، ولذلك كان من يحب الكافر لأجل كفره كافرا بإجماع الأمة، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء الإسلام [66].
2. اتخاذ الكفار أعوانا وأنصارا وأولياء، أو الدخول في دينهم، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: "لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...." (آل عمران: 28).
3. الإيمان بماهم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله تعالى كما قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً" (النساء: 51)[67].
4. طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون[68]، وقد نهى الله عن طاعة الكافرين لأن طاعتهم ولاء لهم ومفسدة تعود على الطائعين، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ "(آل عمران: 149).
5. مجالستهم والدخول عليهم وقت إستهزائهم بآيات الله، قال تعالى:" وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ...."(النساء: 140)، قال الإمام الطبري رحمه الله عند هذه الآية: "وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم"[69].
6. توليتهم أمرا من أمور المسلمين كالإمارة والكتابة وغيرها. والتولية شقيقة الوَلاية، فتوليتهم نوع من تولّيهم. وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم، كما قال تعالى: "وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" (المائدة: 51)، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً.
7. التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم.
8. من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضا للمسلمين، وحباً للكافرين[70].

الرابع: الاستبداد:

ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة لأنها مظاهر أضراره التي جعلت الإنسان أشقى ذوي الحياة. وأما تحكم النفس على العقل، وتحكم الأب، والأستاذ، والزوج، ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازا أو مع الإضافة.

الاستبداد لغةً: هو غرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة.

الاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة.

وأما تعريفه بالوصف: فهو أن الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين[71].

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: أن الإسلام والاستبداد ضدان لايلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء. وقد راعني أن أجد كثرة كبرى من الرجال العاملين في الجبهة الإسلامية مذهولين عن إدراك هذه الحقيقة الخطيرة، وهم حين يدعون إلى الإسلام ينسون ما أفاده العالم من تجارب في صراعه للحكام الظلمة الذين أساءوا إليه، وعلموه أن يحدد علائقه بهم في دساتير مضبوطة وقوانين محكمة[72].

وصف الاستبداد ودوائه:

وقد تكلم بعض الحكماء لاسيما المتأخرون منهم في وصف الاستبداد ودوائه بجمل بليغة بديعة تصور في الأذهان شقاء الإنسان كأنها تقول له هذا عدوك فانظر ماذا تصنع، ومن هذه الجمل؛ قولهم: "المستبد يتحكم في شئون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته".

"المستبد عدو الحق، عدو الحرية وقاتلهما، والحق أبو الشر، والحرية أمهم، والعوام صبية أيتام نيام لا يعلمون شيئا، والعلماء هم إخوتهم الراشدون، إن أيقظوهم هبوا وإن دعوهم لبوا وإلا فيتصل نومهم بالموت".

"المستبد يتجاوز الحد ما لم ير حاجزا من حديد، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفا لما يقدم على الظلم كما يقال: الاستعداد للحرب يمنع الحرب. وإذا سأل سائل لماذا يبتلي الله عباده بالمستبدين؟ فأبلغ جواب مسكت هو: إن الله عادل مطلق لا يظلم أحدا، فلا يولي المستبد إلا على المستبدين".

وقد ورد في الخبر: (الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه)، كما جاء في أثر آخر: (من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه) ولا شك في أن إعانة الظالم تبتدئ من مجرد الإقامة في أرضه[73].

إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد، تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتضرب عليها الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية، والطبائع الخلقية[74].

وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوي حتى في القصص منه؛ ومن جملتها قول بلقيس ملكة سبأ من عرب تُبَّع تخاطب أشراف قومها:" **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ:قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ:قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**" (النمل: 32 – 34).

فهذه القصة تُعلم كيف ينبغي أن يستشير الملوك الملأ أي أشراف الرعية، وأن لا يقطعوا أمرا إلا برأيهم، وتشير إلى لزوم أن تحفظ القوة والبأس في يد الرعية، وأن يخصص الملوك بالتنفيذ فقط، وأن يكرموا بنسبة الأمر إليهم توقيرا،

وتقبح شأن الملوك المستبدين[75].

مكافحة فتنة الاستبداد والتخلّص منها:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد أوسع إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأمراء الإسلام مجال الاستبداد وتجاوز الحدود. وبهذا وذاك ظهر حكم حديث: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب)). وإذا تتبعنا سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع الأمة، نجد أنهما مع كونهما مفطورين خير فطرة، ونائلين التربية النبوية لم تترك الأمة معهما المراقبة والمحاسبة ولم تطعهما طاعة عمياء[76].

عدم الغلو في طاعة ولي الأمر: ولاشك أن طاعته في المعروف واجبة، ولكن الغلو في ذلك أوصل الأمر إلى درجة الطاعة في معصية الله بحجة أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم لمكانتهم في الأمة، ووصل الغلو إلى تقبيل يد الحاكم ورجله تعظيماً له. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكثير من أتباع بني أمية – أو أكثرهم – كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء، والله أمرهم بذلك. وكلامهم في ذلك معروف كثير"[77].

السعي في رفع الاستبداد: للتخلّص من الاستبداد ورفعه ومكافحته قواعد، ذكرها الكواكبي في كتابه:

1. تعزيز قيم الحرية والعدل والمساواة في المجتمع، والحرية في نفوس الأمة.
2. الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية.
3. الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج.
4. يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد.

هذه قواعد رفع الاستبداد وهي قواعد تبعد آمال الأسراء، وتسر المستبدين، لأن ظاهرها يؤمنهم على استبدادهم. ولهذا أذكّر المستبدين بما أنذرهم به الفياري المشهور حيث قال: "لا يفرحن المستبد بعظيم قوته ومزيد احتياطه فكم من جبار عنيد جَنْدَلُهُ مظلوم صغير"، وإني أقول: كم من جبار قهار أخذه الله عزيز منتقم[78].

الخامس: الاستعجال:

إن من أخطر الأمراض التي ابتليت بها الأمة الإسلامية: هو مرض الاستعجال وفقدان الصبر، في معظم أمورهم، ولم ينج من هذا المرض الخطر من شبابها إلا القليل، حتى لا تكاد ترى فيهم إلا الاستعجال.. استعجال في الحكم، استعجال في التصرف.. في الفتوى.. في طلب العلم.. في الدعوة.. واستعجال في المواجهة مع عدوهم.. مع حكامهم.. مع إخوانهم.. وكثيراً من الأحيان مع أنفسهم، كما لايجوز الاستعجال في هذه الأشياء، فأيضاً لاينبغي لنا التكاسل والتغافل والتراخي وعدم اقتناص الوفي واللامبالاة بأحوال المسلمين، وعن معرفة مواضع الشر والفتنة وترك الظلم والظالمين بدون مقاومة وردع لايحسب حكمة وتعقل في بعض الأحوال، فيكون موقف المؤمن عنها موقفاً معتدلاً.

ومن أنواع الاستعجال التي ابتلي بها بعض الناس:

الاستعجال في الحكم والفتوى ونقل الأخبار، قبولاً أو ردّاً:

إن من صفات العاقل التأمل فيما يصدر عنه أو يرد إليه من خبر، أو حكم، فلا يردّه لأول وهلة، ولا يقبله لأول سماع، بل يُقلّب الأمر ويتدبره، فإن استبان له استبانة الشمس في وضح النهار قبله، وإلا رده للراسخين من أهله. إن الاستعجال في نقل الأخبار، وتحقيق النتائج، إنما هو اتباع لأبالسة الجن، حتى يَحْمل المستعجلُ الإثم، ويلجَ

في الإفك، وهو استدراجٌ من شياطين الإنس، كي يسقط المتعجلون في الفخاخ، ويقعوا في المصيدة. قال تعالى معيباً على المتعجلين في نقل الأخبار وإصدار الأحكام: " **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**....." (النساء: 83) [79].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها، وينشرها، وقد لا يكون لها صحة" [80]، ثم استشهد بحديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع))[81]. وقال علي رضي الله عنه: ((لا تكونوا عُجُلاً مذاييع بذراً فإن من ورائكم بلاء مُبّرحاً..))[82]. فالواجب رد الأخبار المهمة، والفتاوى إلى أهلها من أهل العلم.

الاستعجال في المواجهة:

من طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها أن يثأر لنفسه، وأن ينتقم من عدوه، وأن يتعجل في أمره كما أشار إليه تعالى، فقال:" **وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**" (الإسراء: 11). ولما كانت مفاسد التعجل أكبر من مصالحه وأكثر، أُمر المسلم بضبط النفس، والصبر على الأذى، والتأني في نقل الأخبار، والصفح عن المعتدي، "**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**" (الروم: 60)، وقال سبحانه:" **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ**" (المائدة: 13)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما بلغ أذى كفار قريش مبلغه، جاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشكون إليه ذلك، فلم يأمرهم بالمظاهرة ولا بالاغتيال، وإنما أمرهم بالصبر، وبالصبر وحده، ورُوي عن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمراً وجهه... إلى آخره؛ فقال في آخره: (ولكنكم قوم تستعجلون)[83]. فرأى عليه الصلاة والسلام: أن مجرد طلب الدعاء هو استعجال، فاحمر لذلك وجهه، وظهر غضبه، ذلك لأن في طلبهم هذا دلالة على استعجالهم... فياليت شعري، ماذا يقول أو يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأى عجلة الناس اليوم، ومواجهاتهم التي أوقفت الدعوة، وشوهت السمعة، وعضت المسلمين، وانعكست عليهم[84].

إن الدعوة لا تثمر بالاستعجال، ولا ينتصر أتباعها بالتضجر، ولا يثبتون بإلقاء اللوم على عدوهم، ولا باستعجال قطف الثمار، وإنما يثبت أصحابها بالإخلاص، وينتصرون بسلاح الصبر الجميل، وتؤتي ثمارها بالعمل الدؤوب والجهد، المبني على العلم و البصيرة، من غير كلل ولا ملل. ولذلك حذرنا الله تعالى أن نُسْتَفزّ أو نُستدرج، فقال تعالى:" **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ** "(الروم: 60)، وبسبب وقوعنا فيما نهانا الله عنه من التعجل، تجد كثيراً ممن تعجلوا في المواجهة، سببوا لأنفسهم وللمسلمين من الكوارث ما كنا بغنى عنه.

الاستعجال في تحقيق النتائج وقطف الثمار:

إن الاستعجال في تحقيق الآمال المنشودة، وقطف الثمار المرجوة، له آثار بالغة الضرر على النتائج، وله عواقب خطيرة على نفسية المتعجلين وعلى واقعهم.

إنهم يريدون كل شيء بعجل، وعلى عجل. قال تعالى:" **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**" (الأنبياء: 37)، وقال السعدي في تفسيره: "أي خلق عجولاً يبادر الأشياء ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون يستعجلون عقوبة الله للكافرين ويتباطئونها، والكافرون يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذيبا وعنادا"[85].

إنهم يريدون أن يتعلموا في ساعات، وأن يكونوا عالماً في أيام، إنهم يريدون أن يغيروا أحوال المسلمين في أسابيع، إنهم يريدون أن يقيموا دولة الإسلام على بساط نبي الله سليمان عليه السلام، إنهم يريدون أن يَقْبلَ الناس

الدعوة إلى الله من أول بيان، وسواء دُعُوا بحكمة، أو بغير حكمة، إنهم إن لم يقبلوا منهم ضلّلوهم وربما كفّروهم، سواء قامت عليهم الحجة أو لم تقم... إنهم يريدون أن يتوب الناس عن معاصيهم من أول نصيحة، ويرتدعوا عن بدعهم من أول موعظة، وإلا فسّقهم وبدّعهم.

فلما صُدم المتعجلون بسنن الله الكونية، وبواقع الناس المؤلم، ودنا منهم الفشل، وحلت بهم الهزيمة.. يئست النفوس، وخارت العزائم، وفترت القوى، وكثير منهم انتكسوا، وعن دينهم ارتكسوا، تحقيقاً لقاعدة: "من عكس انتكس". ولقد نسي المتعجلون ما وعظنا الله به عن نبيه ذي النون عليه الصلاة والسلام، إذ غضب من قومه إذ لم يستجيبوا له، فلما هجرهم وترك سعة الدعوة، جعله في ضيق الظلمات، وكذلك يفعل الله تعالى.. وحين أدرك هذا النبي الكريم أمره، تاب إلى ربه، وعاد صابراً داعية، فكتب الله – حينذاك – لقومه الهداية. قال الله عز وجل مذكراً نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك: **"فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ"** (القلم: 48).

مضارّ الاستعجال: إن للاستعجال مضارَّ بالغة، وعواقب سيئة، تنعكس على الفرد نفسه، وعلى إخوانه من حوله، وربما على الدعوة والمسلمين جميعاً. وإن من وراء الاستعجال حسرة وندامة، ويأساً وقنوطاً، وتفويت كثير من المصالح، وجلب الكثير من المفاسد.. ويمكن اختصار مضار الاستعجال في ثلاث:

1. الفشل والفتور، ثم الإحباط والانتكاس.
2. وقوع الأذى عليهم، وعلى من حولهم مما يمكن تفاديه.
3. تخوف الآخرين وإحجامهم عن السير في مجال الدعوة، بل وفي طريق الالتزام، وذلك عندما يرون عاقبة المتعجلين [86].

دواء الاستعجال: إنّ أدوية الاستعجال ثلاثة:

الدواء الأول: الصبر. والدواء الثاني: الاحتساب. والدواء الثالث: التوكل على الله.

مكافحة فتنة الاستعجال: وأما الاستعجال فيمكن توقي هذه الفتنة ومقاومتها على الأمور التالية:

1. التأني وعدم العجلة، لأن من وراء الاستعجال حسرة وندامة، ويأساً وقنوطاً، وتفويت كثير من المصالح، وجلب الكثير من المفاسد[87].
2. الصبر والحلم لأنه هو أمام الفتن تربية للنفوس، وإعداد لها كي لا تطير شعاعاً مع كل نازلة ولا تذهب حسرة مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعاً أمام الشدّة، إنه التجمل والتماسك والثبات حتى تنقشع الغاشية وترحل النازلة ويجعل الله تعالى بعد عسر يسراً[88].
3. عدم الانتقام والعفو والصفح على أخيه وأصدقائه والصبر على تكاليفه وخاصة في ميدان الدعوة، يقول تعالى: "فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (المائدة: 13).

السادس: النسيان والغفلة عن العمل ببعض الأحكام:

إن من أسباب الوقوع في الفتنة نسيان ما ذُكرنا به، والغفلة عن كثير من أحكام الشريعة. وفيما يخص هذه الفتنة:

نسيان التثبت والتبين الواجب في الأقوال والأخبار!

لقد نسي المسلمون بعامة، وكثير من شباب هذه الصحوة بخاصة "التثبت" وكنهه، وإذا تذكروه فقد فقدوا معناه، أو طرق تحقيقه، ولذلك ظنوا؛ أن مجرد صدور التهمة ممن يراه ثقة — من مسئول في الحزب مُعظَّم، أو من شيخ مبجّل، أو أخ محبوب، أو من مجلة طائرة، إن صدور التهمة من هؤلاء، يعني هذا عنده يقيناً، لابد من تصديق صاحبه

فيه، ونشره بين الناس، ولذلك راحوا يتناقلون الأنباء، ويتهمون بالأخبار، فحكموا بالظن المحرم، والقرائن البعيدة، فانتهكوا بذلك المحرمات، وخاضوا في الأعراض، والله عز وجل يقول: "**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ... وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**" (المدثر: 42-45)، وقال: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**" (الحجرات: 6)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث))[89]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع))[90] [91].

نسيان الحكمة في الدعوة، والرفق في الموعظة، والجدال بالتي هي أحسن:

لقد أمرنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بالرفق بالدعوة حتى مع أعدائنا أعداء الإسلام، "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**" (النحل: 125). بل حرم جدال أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين فجروا منهم وظلموا: "**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**" (العنكبوت: 46). وبناء على هذه الآيات؛ فإن الأصل في الدعوة إلى الله التزام الحكمة والرفق، وهذا أمر عام شامل كل من يدعى، لم يخصص الله صنفاً دون صنف، ولا جماعة دون جماعة، كما يفعل بعضهم اليوم، بل أمر الله تعالى موسى وهارون النبيين الكريمين عليهما السلام، أن يخاطبا فرعون الكافر اللئيم عدو الله باللين، فقال تعالى:"**فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**" (طه: 44).

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية، حين أجابت عائشة اليهود بقولها: (السام عليكم، يا إخوان القردة والخنازير، ولعنته وغضبه، فقال صلى الله عليه وسلم: ياعائشة! مه، فقالت: يارسول الله، أما سمعت ما قالوا؟ قال: أو ما سمعت ما رددت عليهم؟ ياعائشة؛ لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه، ولم ينزع من شيء إلا شانه)[92].

وإذا كان هذا في حق فرعون الفاجر، وحق اليهود اللئام أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أفلا يكون هذا في حق إخوان لنا ، أخطأوا الطريق، أو ضلوا السبيل!؟ هل ندفعهم ليزدادوا ضلالاً وانحرافاً بسوء دعوتنا، وفظاظة موعظتنا؟ أم نترفق بهم كي يعودوا إلى طريق الهداية، وسبيل الرشاد، فنكون معاً على الطريق؟[93].

وأن كلاً منّا يردد قوله تعالى:" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** " (النحل: 125)، وكلنا يطالب بهذا.. وكلنا يدعي أنه يقوم بهذا.. ولكن الحقيقة المؤلمة، أن معظمنا لا يدعو بالحكمة والرفق، وإن زعمنا ذلك؛ إما لأننا لا نعرفها، وإما لأننا نتأول فيها.. وهذا من الفوارق بيننا وبين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنهم تربوا على العمل... وتربى كثير من غيرهم على الكلام... والله المستعان.

نسيان المحبة والأخوة:

ومما نسيه كثير من المسلمين: حقوق الأخوة، وأهمية المحبة، وأثرهما الكبير في بناء المجتمع المسلم وتماسكه، فأبدلوا بالأخوة جفاء، وبالمحبة كراهية وعداء. وإن للمحبة الصادقة، والأخوّة البارة، دوراً عظيماً في تكوين الجماعة المسلمة، وبناء مجتمعها، وقيام سلطانها... ولهذا قال تعالى:" **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**" (الحجرات: 10)، وقال تعالى:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** "(المائدة: 54). قال القرطبي:" **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**" "أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شي. ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته"[94].

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا

فعلتموه تحابيتم، أفشوا السلام بينكم)[95]. فأين هذه المحبة اليوم بين المسلمين التي جعلها الله من الإيمان، وجعل الإيمان سبباً لدخول الجنان؟!؟. وإذا فقدت المحبة حلّ محلها البغضاء، وإذا نسيت الأخوة حل محلها العداء، ومن كان هذا شأنه!! دُمّر مجتمعه، وديست كرامته، ومن نسي ما وعظه الله به نسيه الله، ومن نسيه الله ذل وهان، وحكَمه الأعداءُ وأتباع الشيطان، وعباد الفروج والصُّلبان.

فقدان العدل ونسيان الإنصاف:

إن مما أمرنا الله عز وجل به ورسوله صلى الله عليه وسلم العدل والإنصاف، وحرم علينا ضدهما: الظلم والإجحاف، في كل حين، ومع كل قريب أو بعيد، صديق أو عدو، وحذر من انتقاص الناس أشياءهم، فقال تعالى: "**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**" (الأنعام: 152)، وأمر بالقسط والإنصاف، ولو كان لصالح الأعداء، فقال تعالى: "**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ**" (المائدة: 8). وعدّ العدل مع المبغضين من التقوى فقال تعالى: "**اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**". وقال البيضاوي رحمه الله تعالى: "**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ**" أي لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل"[96].

وقال عمار رضي الله عنه: (ثلاثٌ من كن فيه فقد استكمل الإيمان –وفي رواية: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان–: إنصاف الناس من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار)[97] ومن أنصف الناس من نفسه، أنصف الآخرين في أنفسهم بعضهم من بعض.

النتائج:

1. انسجام المعنى الاصطلاحي للفتنة مع معنى آخر من المعاني اللغوية.. فمثلاً الحرق بالنار بغرض إظهار الجيد من الرديء وهو نفس الغرض الذي يحققه الاختبار والابتلاء عند المحن والشدائد.
2. يتفاوت الناس في استقبالهم للفتن ففي الوقت الذي يستقبل فيه المؤمن الفتن بالصبر عليها محتسباً الأجر عند الله فتكون له ثواباً مدخراً في الآخرة، نجد ضعيف الإيمان أو الكافر يتضجر للفتنة ولا يصبر عليها فتكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة.
3. أن الاستبداد لا ينبغي أن يقاومها بالعنف؛ كي لا تكون فتنة تحصد الناس حصداً، وأن الاستبداد قد يبلغ من الشدة درجة تنفجر عندها الفتنة انفجاراً طبيعيًّا.
4. أن الوقاية من الجريمة في التشريع الإسلامي تكون بالتكوين السليم للفرد والأسرة والبناء والتنمية الصحيحة للمجتمع من خلال مؤسساته الاجتماعية والإعلامية والثقافة والأمنية.
5. الصبر عند نزول الفتن، صفة المتقين والراسخين، فهو مفتاح الفرج، أما التسرع والاستعجال في أخذ المواقف، وعدم ضبط النفس، فإنه يؤدي إلى اختلاط الأمور، وتزايد الشر، واستحكام الفتنة.

فإن أمر الفتن أمرٌ عظيم، وخطرها خطرٌ جليل، لذلك يجب على المسلم – لاسيما وقت الفتن — العناية بهذا الأمر عناية جليّة وواضحة، والتزام منهج السلف في ذلك أشد الالتزام، والابتعاد عن المناهج المحدثة الضالّة، فإن فيها الهلكة، والعياذ بالله.

. هذا وبالله التوفيق

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0

International License.

الهوامش (References)

([1]) انظر: من فتن شباب الصحوة، للشيخ عدنان محمد العرعور، ص 2، 3.

([2]) لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، 1956م، (3345/4)، "الصحاح" (2175/6)، هذا قول الجوهري.

([3]) المرجع السابق، (317/13)، و "الصحاح" (2175،2176/6)، هذاقول الخليل.

([4]) أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تخريج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379م، (3/13).

([5]) لسان العرب، (319،320/13).

([6]) مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ، 1420هـ، (56/22).

([7]) التعريفات، لعلي بن محمد علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1405هـ، ص 212.

([8]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1415هـ. 199م، (425/3).

([9]) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الشهير بإبن الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1405هـ – 1985م، ص 438 – 480.

([10]) بصائر ذوي التمييز في لطائف العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، (167/4 – 169).

([11]) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم، بيروت، لبنان، ط5، 1985م، ص 347، 348.

([12]) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى القارئ، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمان، ط1 ، 2002م، ص 55 – 57.

([13]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ط2 ، 1416هـ. 1996م، (337/13).

([14]) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاءالدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1415هـ. 1995م، (375/3).

([15]) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (304/3، 305).

([16]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2 ، 1383هـ. 1964م. (170/5).

([17]) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (249/4).

([18]) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1420هـ – 1999م، (309/4).

([19]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (148/8).

([20]) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (369/2).

([21]) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1 ، 1415هـ، ص 390.

([22]) **تفسير القرآن الحكيم ((الشهير بتفسير المنار))، للأستاذ محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط2 ، 1393هـ – 1973م، (322/8)**.

([23]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (227/1).

([24]) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (122/1).

([25]) الكشاف، للزمخشري، (213/2).

([26]) المرجع السابق، (256/1).

([27]) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (147/1).

([28]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (341/8).

([29]) تفسير القرآن العظيم، لإبن كثير، (428/2).

([30]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (19/4).

([31]) تفسير القرآن العظيم، لإبن كثير، (345/1).

([32]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصرالدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ – 1999م، (149/1).

([33]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (176/6).

([34]) أنوار التنزيل وأسرار التاويل، للبيضاوي، (267/1).

([35]) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، (147/4) برقم 2336. وقال الألباني: صحيح. وفي الصحيحة: 592.

([36]) البخاري، الجامع المسند الصحيح، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422هـ، (25/3) برقم 1895.

([37]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (45/23).

([38]) البخاري، (92/8) برقم 6435.

([39]) البخاري، (26/4) برقم 2837. وصحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1430/3) برقم 1803.

([40]) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1410هـ – 1990م، (94/4).

([41]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (183/17).

([42]) البخاري، (8/7) برقم 5096. ومسلم، (2097/4) برقم 2741.

([43]) الكاشف عن حقائق السنن الشهير بـ ((شرح المشكاة للطيبي)) ، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض، ط1 ، 1417هـ – 1997م، (2260/7) برقم 3085. "بتصرّف".

([44]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (89/20).

([45]) البخاري، (33/6) برقم 4547. ومسلم، (2053/4) برقم 2665.

([46]) شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2 ، 1403هـ – 1983م، (222/1) برقم 106.

([47]) البخاري، (33/2) برقم 1036.

([48]) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لأبي حفص عمر بن علي الشافعي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1 ، 1429هـ – 2008م. (427/3، 428).

([49]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ (19/13).

([50]) مصنف ابن أبي شيبة، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الراشد، الرياض، ط1 ، 1409هـ (474/7) برقم 37343.

([51]) مستدرك حاكم، (515/4) برقم 8446. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال: على شرط البخاري ومسلم.

([52]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 12.

([53]) سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1 ، 1430هـ – 2009م، (29/1) برقم 43. وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: صحيح.

([54]) البخاري، (31/1) برقم 100. ومسلم، (2058/4) برقم 2673.

([55]) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام بن إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1414هـ – 1993م، (256/2).

([56]) انظر: الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1 ، 1419هـ – 1998م، ص 264.

([57]) العواصم من الفتن، ص 30.

([58]) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1405هـ – 1985م، (351/17).

([59]) التعريفات، للجرجاني، ص 257.

([60]) الفتاوى، لإبن تيمية، ص 28.

([61]) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العُكبري المعروف بابن بطة، المحقق: رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1404هـ – 1984م، ص 132.

([62]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 20 – 23 "بتصرّف".

([63]) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (288/1–289).

([64]) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ط17 ، 1412هـ – 1992م ، (1615/3).

([65]) أحكام أهل الذمة، للإمام ابن القيم الجوزي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ – 2002م ، (242/1).

([66]) الولاء والبراء في الإسلام، للشيخ محمد بن سعيد القحطاني، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، دار طيبة، الرياض، ط6 ، 1413هـ، ص 231.

([67]) وانظر تفسيرالقرآن العظيم، لابن كثير، (507/1).

([68]) الولاء والبراء، للقحطاني، ص 241.

([69]) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري، (328/4).

([70]) الولاء والبراء، للقحطاني، ص 242.

([71]) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، لعبد الرحمن الكوكبي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2011م، ص 15.

([72]) الاسلام والاستبداد السياسي، لمحمد الغزالي، تحقيق: محمد خالد القعيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6 ، 2005م، ص 17.

([73]) طبائع الاستبداد، للكوكبي، ص 18–22، "بتصرّف".

([74]) تفسير المنار، للشيخ رشيد رضا، (278/6).

([75]) طبائع الاستبداد، للكوكبي، ص 26.

([76]) المرجع السابق، ص 29، 30.

([77]) منهاج السنة النبوية، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ - 1986م، (430/6).

([78]) طبائع الاستبداد، للكوكبي، ص 115.

([79]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 49، 50.

([80]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (365/2).

([81]) مسلم، في مقدمة صحيحه (10/1) برقم 5. وابن أبي شيبة، (237/5) برقم 25617.

([82]) صحيح الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي مع تصحيح الألباني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3 ، 1409هـ — 1989م، ص 120، برقم 327. وقال الألباني: صحيح.

([83]) البخاري، (201/4) برقم 3612.

([84]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 51، "بتصرف".

([85]) تفسير السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420هـ - 2000م. ص 523.

([86]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 56 — 60.

([87]) المرجع السابق، ص 56.

([88]) طريق الدعوة في ظلال القرآن، لأحمد فائز، ص 200.

([89]) البخاري، (19/8) برقم 6064. ومسلم، (1985/4) برقم 2563.

([90]) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، (10/1) برقم 5. وأبو داود، (344/7) برقم 4992. وانظر الصحيحة للألباني رقم: 2025.

([91]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 28، 29.

([92]) مسند أحمد، (167/21) برقم 13531. وقال شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح وسنده ضعيف"، وصححه الألباني في صحيح الجامع وأصله في مسلم.

([93]) انظر: من فتن شباب الصحوة، لعدنان العرعور، ص 32.

([94]) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (220/6).

([95]) مسلم، (74/1) برقم 54.

([96]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (117/2).

([97]) أخرجه البخاري معلقاً، (15/1) كما في الفتح (28). وابن أبي شيبة، (172/6) برقم 30440.